

315720 - إضمار القول في القرآن

السؤال

قبل سنة قررت أن أقرأ القرآن قراءة فهم وتدبر ، لا قراءة تلاوة فقط ، مثلما كنت أفعل ، فسجلت الآيات التي أشكلت علي ، وبحثت عن تفاسيرها حتى فهمت ، ولكن عندي القليل من المشاكل التي صادفتني ، وأريد أن أطرح واحدة منها : (الإضمار) : وهناك مواضع عدّ فيها الطبري الكثير من الآيات التي فيها إضمار ، وفهمت أنها من أساليب العرب ، ولكن ما لم أفهمه هو إضمار كلمة (قل) عند مخاطبة الله تعالى لسيدنا محمد . مثل : قوله تعالى : (قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ ^ط فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ^ط وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ^ط وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِخَفِيضٍ) الأنعام /104 . فمن الواضح أن الخطاب انتقل مباشرة من الله للناس ، أو أن يكون الخطاب من أوله من رسول الله لإضمار كل قل يا محمد . وقوله تعالى □ أَفَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْتِغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ^ط وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِّنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ^ط فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) الأنعام/114 . وقال تعالى : (إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ ^ط وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) الأعراف /196 . وقال تعالى : (إِنَّمَا أُمِرتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ ^ط وَأُمِرتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) النمل/91 . والآية 50 ، 51 من سورة الذاريات ، فقليلو العلم والجهلة ربما يستغلون مثل هذه الآيات ليقدحوا بكتاب ربي ، فما هو توضيح ما ذكرت .

الإجابة المفصلة

أولاً :

ما أجمل أن يتأمل المسلم كلام ربه تعالى ، فإن أشكل عليه أمر رده إلى العالم به ، فإن في ذلك خيرا كبيرا ، وفائدة عظيمة .

والقرآن بحمد لله لا يتطرق إليه الاختلاف بحال ، كما قال سبحانه : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ النساء/82 .

ثانياً :

من عادات القرآن الأسلوبية ، وطريقته المعهودة الجارية على سنن العرب في الكلام حذف ما دل عليه الظاهر ، لأنه يصير حينئذٍ حشواً لا حاجة إليه ، إلا إن كان لإظهاره فائدة أخرى من الفوائد البلاغة .

يقول الطبري : " العرب ، من شأنها إذا عرفت مكان الكلمة ، ولم تشك أن سامعها يعرف بما أظهرت من منطقتها ، ما حذف : حذفت ما كفى منه الظاهر من منطقتها ، ولا سيما إن كانت تلك الكلمة التي حذفت قولاً ، أو تأويل قول ،"

انتهى من "جامع البيان" (1/137).

قال أبو عبيدة في "مجاز القرآن" (1/111): "العرب تختصر الكلام ليخففوه؛ لعلم المستمع بتمامه" انتهى .

وانظر للاستزادة: "الأساليب العربية الواردة في القرآن" (517 – 526)، "عادات القرآن الأسلوبية" (1/219).

قال "السمين الحلبي" في "الدر المصون" (1/370): "وإضمار القول: كثيرٌ في لسانهم"، انتهى .

والمفسرون يبنهون على ذلك، ومنه قول "الواحدي": "ومن كَسَرَ، أضمِر القول؛ كأنه: ناداه، فقال: إِنَّ اللَّهَ) فحذف القول.

وإضمار القول كثير في هذا النحو، كما قال: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (23) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾. [الرعد:23 – 24]، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا﴾. [الأنعام: 93]، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ﴾. [آل عمران: 106]، فأضمر القول في ذلك كله، انتهى من "التفسير البسيط" (5/221).

وقال: "وإضمار القول كثير كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا﴾. [البقرة: 127] أي: يقولان: ربنا، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ﴾. [الزمر: 3] معناه: يقولون ما نعبدهم"، انتهى من "التفسير البسيط" (8/246).

وقول "أبي حيان": "... والخبر هنا محذوف للعلم به. والتقدير: فيقال لهم: أكفرتم؟

كما حذف القول في مواضع كثيرة، كقوله: (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم) الرعد، أي يقولون: سلام عليكم " انتهى من "البحر المحيط" (3/293).

والله أعلم.